المحاضرة الأولى

علم النفس المرضي وإشكالية السواء واللاسواء

1. ما هيةعلم النفس المرضي :

يعتبر علم النفس المرضي فرع من فروع علم النفس، يختص بطرق البحث السيكولوجي التي تستخدم الدراسة الإكلنيكية للحالة العقلية والنفسية للمريض فيما يتصل ليس فقط بمرضه ذاته، بل أيضا بالإمكانيات التعويضية أو التحملية الكامنة في شخصيته، فهو العلم الذي يبحث في انحرافات السلوك والخبرات العقلية على حد سواء ومحاولة فهم معوقات النفس البشرية في كل أبعادها النفسية والإجتماعة والعضوية ليتمكن من وضع أسس السلوك القويم وكذا مؤشرات السلوك المرضي.

ويعرف() علم النفس المرضي بانه العلم الذي يصف مظاهر الإضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية وأعراضها الإكلنيكية، ويعلل أسبابها وعواملها وديناميكيتها وسبل علاجها، كما تناوله (Bergeret) على انه العلم الذي يدرس التطور النفسي واضطراباته دون الإهتمام بالجانب التقني والعلاجي()، كما يعرف أيضا بأنه العلم الذي يبحث في انحرافات السلوك والخبرات النفسية والعقلية على حد سواء ومحاولة فهم معوقات النفس البشرية في كل أبعادها النفسية والعقلية والإجتماعية، للتمكن من وضع أسس السلوك القويم وكذا مؤشرات السلوك المرضي.

لقد تعددت التعريفات الواصفة والموضحة لطبيعة علم النفس المرضي محاولة بذلك تسليط الضوء على كل ما له علاقة بهذا التخصص الدقيق الذي يتناول في ثناياه خبايا النفس البشرية، حيث تتقاطع كلها في أن علم النفس المرضي هو العلم الذي يتناول بالوصف كل الإضطرابات والأمراض ذات الصلة بالحالتين النفسية والعقلية للأفراد على حد سواء ومحاولة وتحديد قدر الإمكان جملة الأعراض والأسباب وما ينجم عنهما من نتائج.

2. مفهوم المرض النفسي:

يرى() أن المرض النفسي يرتبط بمفهوم الصحة النفسية التي تعرف بأنها التوافق مع المجتمع وعدم الشذوذ عنه وعدم مخالفته فالمرض النفسي من خلال وجهة النظر هاته يعبر عن عدم التوافق مع المجتمع وعدم قدرة الفرد على التطور والنمو بشل سوي. فالمرض النفسي يعبر عن عدم التوافق الداخلي من حيث أن الصحة النفسية هي ذلك التوافق بين مكونات الجهاز النفسي (الهو، الأنا، النا الأعلى).

إن الإضطراب أو المرض النفسي حسب () هو مجموعة الأعراض المركبة القابلة للتحديد من الناحية العيادية والتي تنجم عادة عن مجموعة متألفة من العوامل النفسية والعقلية والإجتماعية والوراثية والجسدية وقد ترادفها تبدلات عضوية أو شذوذ في السلوكات الظاهرة أثناء التعامل مع المحيط الإجتماعي كالسلوك الجانح أو السلوك اللاإجتماعي والكذب والعدوان غير المبرر حيث تترافق هذه الأعراض مع شيئ من الأذى للوظائف النفسية على المستوى الفردي والإجتماعي.

كما ويرتبط المرض النفسي بمصطلح اللاسواء والذي يعد انحرافا عما نعده سويا وهو المرادف للخلل في الوظائف والتشوه والذي يتراوح ما بين عدم التوافق مع البيئة والتخاف العقلي.

3. إشكالية السواء واللاسواء في علم النفس المرضي:

عرف (Pierron. 1963) علم النفس المرضي بأنه{ دراسة الإضطرابات العقلية من حيث تصنيفها وصفها، ميكانيزماتها وتطورها، حيث أن المتتبع لهذا العلم يلاحظ تلك التباينات ما بين العلماء والتي تخص موقع هذا العلم، فمنهم من يرى أنه ميدان من ميادين الطب العقلي ومنهم من يدرجه تحت ميادين علم النفس وفئة ثالثة ترى بأنه علم قائم بذاته ومن خلا عديد وجهات النظر نلاحظ التقاطع بين كل تلك العلوم، **فموضوع علم النفس المرضي هو الظاهرة المرضية أي اللاسواء**، ومن هنا حاول الباحثون الوقوف على إشكالية السواء واللاسواء وتحديد حدودهما وأبعادهما لكن اختباف المعايير حال دون ذلك.

إن عدم وجود تعريف واضح في التعريف بين السوي والمرضي شكل عقبة فيما يخص الأبحاث لخاصة بالصحة النفسية **حيث أن الفروق التي تستخدم في التمييز بين المفهومين تعتمد بشكل كبير على كمية القلق والمشقة التي يعيشها الأفراد**، وهي في حد ذاتها مختلفة ومتغيرة من مكان إلى أخر ومن زمان إلى اخر، ورغم اجتهادات العلماء والباحثين في هذا الشأن فإن الإشكاليات المتعلقة السلوك السوي والمرضي تحاط بكثير من الصعوبات فالتساؤل الذي يطرح نفسه

- ما هي مؤشرات كل من السلوك السوي والمرضي؟

- ما هي الحدود الفاصلة بينهما؟
- من هو السوي والذي على أساسه يمكننا قياس المريض؟

إن التحديات الرئيسية التي تواجه العاملين في ميادين المراض النفسية هو تحديد تعريف واضح للسلوك السوي أو المرضي، فكل التعاريف لا تصمد كتعريف ثابت متسق ويفسر بسهولة كل المواقف أو المظاهر التي يبرز فيها هذا المفهوم، فالعلماء ينظرون لهذين المفهومين من زوايا خاصة ومن وجهات نظر فردية وما يصعب المهمة أن العوامل الثقافية والإيديولوجية تصعب بصورة أكبر حدود السواء والمرض وفي ذلك تعددت المحكات و اختلفت المعايير التي تحدد **ماهية السوي والمرضي**.

4. بين السواء والمرض:

إذا كانت هناك صعوبة في تحديد السلوك السوي و السلوك المرضي فغنه من الأجدر البحث عن المحكات التي وعلى ضوئها يحدث السلوك حيث يرى دافيدسون ونيل(Davidson et Nil.1992) أنه وفي ظل غياب الإختبارات الكيميائية والحيوية أو النفسية المباشرة والمحددة للكشف عن وجود المرض النفسي ونحديده بشكل نهائي كما في المراض الجسمية فإنه ينبغي تعريف اللاسواء في صورة مصطلحات سلوكية واجتماعية، ومن ثمة فإنه سوف يكتسب معناه ودلالته من السياق الذي يحدث فيه، وفي ذ

ات الشأن اعتمد على مجموعة **من المحكات** التي وضعها لتحديد السوي واللاسوي ومن بينها:

أ. القدرة العامة على المواءمة والتكيف.

ب. القدرة على الإشباع الذاتي والكفاءة في القيام بالأدوار الإجتماعية.

ج. القدرة الذهنية.

د. القدرة على ضبط الإنفعالات والدوافع والإتجاهات السوية نحو الذات ونحو المجتمع.

هـ. الإنتاجية والإستقلال والتكامل.

أما محكات اللاسواء فهي:

أ. التعرض للعلاج النفسي.

ب. سوء التوافق.

ج. التشخيص الطبي النفسي وإقرار الفرد عن نفسه أنه يحتاج للعلاج.

د. نتائج تطبيق الإختبارات النفسية.

هـ. عدم توفر الصحة النفسية أو المحاولة الإيجابية للإحتفاظ بها.

5. معايير تحديد السلوك السوي واللاسوي في علم النفس المرضي:

من أجل تحديد مفهوم الصحة النفسية بشكل دقيق وتحديد المظاهر المعبرة عنها كان لا بد من الإعتماد على معايير ومحكات نحدد من خلالها السلوك السوي واللاسوي في علم النفس المرضي تحديدا واضحا وفي ذلك نأتي على ذكر:

أ. **المعيار الإجتماعي الثقافي:** ويشير إلى التوافق مع ما يتوفر في المجتمع، حيث يتخذ من القيم والنظم الإجتماعية والثقافية أساسا للحكم، وعلى هذا الأساس يعتبر كل مالا يتفق مع ما يتوقعه المجتمع من أساليب سلوكية غير سوي ، فما تعتبره بعض المجتمعات سويا ينظر له في مجتمعات أخرى على أنه غير سوي أو أنه نوع من الشذوذ، وما يعتبر عاديا في ثقافتنا قد لا يعتبر عاديا في ثقافة أخرى، وعليه وجب الأخذ بعين الإعتبار السلوك ذاته في إطاره الإجتماعي والثقافي.(.)

ب. **المعيار الإحصائي:** يعتبر الرياضي البلجيكي كينلي(Quetelet) أول من استخدم منحنى قوس(Gauss) في توزيع المعطيات الإنسانية، فالإنسان السوي حسبه هو الإنسان المتوسط وفق النزعة المركزية للمعطيات الإحصائية، حيث تعتبر الإنحرافات على الجهتين اليسرى واليمنى للمنحنى معبرة عن اللاسواء، فكلنا كان الإنحراف عن المتوسط كبيرا كلما كان السواء كبيرا والعكس صحيح، كما أن اللاسوي من وجهة النظر هاته هو ما ينحرف كميا عن المتوسط بالزيادة أو بالنقصان، كما أن الخروج عن المعتدل لا يشير بالضرورة للاسواء كما أن تسجيل الإعتدالية وعدم الإنحراف عن الوسط وأن يكون الفرد مثل الجميع لا يشير بالضرورة لكون الفرد سويا().

ج. **المعيار الذاتي:** إن نظرة الأفراد لأنفسهم وأفكارهم وقناعاتهم وأراءهم الذاتية واتخاذهم من ذواتهم أطرا مرجعية للحكم على سلوكيات الأشخاص سوية أو غير سوية هو ما يعرف بالمعيار الذاتي والذي من خلاله يتم الإعتماد على الأحكام الشخصية وعلى ما يألفه الفرد والخرونوما يقبلونه وما يتلاءم مع ما يرغبون به من خلال وجهات نظرهم الشخصية، غير أن ذلك يغلق الباب أمام كل المحاولات العلمية البحثية بسبب عدم القدرة عل التعميم.

د. **علم العصاب كمعيار لتحديد السواء واللاسواء:** يرى هذا المعيار أن الدماغ السوي يختلف عن الدماغ غير السوي في العدد الحقيقي للخلايا العاملة في منطقتي اللحاء واللتان تسميان بالطبقتين تحت الحبيبية وفوق الحبيبية، فكلما اقترب الدماغ من السواء اتسعت الطبقة فوق الحبيبية وضاقت الطبقة تحت الحبيبية، حيث أن هناك توجه عالمي في هذا المعيار يحاول العلماء من خلاله ربط كل أنواع وأنماط السلوك المختلفة **بعلم الأعصاب** أي أنه لكل سلوك سببية عصبية، ومن مزايا هذا المعيار إمكانية تعميمه على مختلف الثقافات كما أنه صعب التطبيق(عبد الخالق، 1993).

هـ. **معيار التعاسة الشخصية:** احد المداخل لتعريف السلوك الشاذ يركز على خبرة الشخص بالألم أو الكرب أو التعاسة الشخصية حيث يمكن القول أن السلوك الشاذ يمكن أن يعرف في ضوء عدم الراحة الذاتية التي تقود الشخص للبحث عن المساعدة من قبل المتخصصين في الصحة النفسية.

وقد أشار ماهر وماهر إلى أربع فئات أساسية تحدد السلوكيات اللاسوية وهي :

- سلوك يسبب الضرر ،
- اتصال غير فعال،
- استجابات انفعالية غير مالئمة ،
- السلوك المنحرف غير المبرر .

إن مفهوم السوي واللاسوي يعتبر نسبيا و مؤقتا،فالشخص السوي في مجتمع ما و في فترة زمنية معينة و ظروف معينة قد يصاب باضطراب و العكس و لهذا يجب معرفة **مدة و استمرارية** العرض مع المظاهر السوية ، فالحزن انفعال عادي بعد الفقدان لكن قد يصبح عرضا مرضيا)، شدة الإضطراب ومدى المعاناة التي يسببها للفرد، ومدر استمرار العراض في الزمن، كما يجب الإحتكام للأفكار السلبية وما تولده من عراقيل في سبيل النمو العادي للفرد وما تسبه من معاناة انفعالية وسلوكيات غير متكيفة وغير متوافقة وعدم قدرة الأفراد عل مواجهة صعوبات الحياة وتحدياتها وما تسببه للانا من مشكلات عدم التوافق .